الكاتبة تفرق هنا بين رقة قلب المرأة وعطفها واحسانها وبين قسوة الرجل وانانيته وسيطرته . ولكنها تبالغ قليلا في هذا التفريق بحيث تعطي العذر للفتاة في العودة الى طريق المصنع الذي جر عليها الويلات ، بدل العودة الى الخدمة في البيوت رغم ما فيها من تعنت ربة الدار وصفعاتها احيانا . واسلوب الرسالة خطابي وعظي كأنما قصدت به البطلة تبرير سقوطها في سبيل لقمة العيش .

بقية قصص المجموعة يتراوح اسلوبها بين السرد والحوار ، والخواطر والسيرة الذاتية احيانا . أما موضوعاتها فكثير منها يؤكد ما صورته في القصة السابقة من قسوة الظروف التي تضطر الفرد او الافراد الى تصرف معين قد يضر فاعله والاخرين حوله. فعلت ذلك في قصتها « نافخ الدواليب » حين ضاقت الحياة ببطل القصة ، وسدت امامه سبل العيش النظيف ، فاضطر الى الغش في عمله والعبث بدواليب الدراجات المصفوفة خارج دار السينما ، حتى اذا خرج اصحابها كان لا بد لهم من أن يقصدوا المحل لاصلاحها ، فينال قروشا من اقرب طريق . وهو يحاول تبرير عمله بأن وراءه أما وأخا واختا يعيشون من ابرة امهم . وهنا يغلب على الكاتبة تشاؤمها وتجنح الى السخرية حين تقرر ان بطل القصة يتردد على المدرسة الليلية ويسمع دروسا تحث على الامانة ، ثم يشعر بالخجل لعدم استطاعته تطبيقها في سلوكه .

وتعاود سميرة سوداويتها مرة اخرى حين تصور احلام فتاة فقيرة عاملة في مصنع لتعبئة الزجاجات ، مخطوبة لسائق سيارة المصنع الذي يوصلها الى بيتها بالسيارة كل يوم ، ولكن بدل أن يتما سيرهما معا « على الدرب » وهو عنوان القصة ، فجأة يتخلى خطيبها عنها ويترك عمله على سيارة المصنع الكبيرة ، ويصبح سائقا خاصا لمدير المصنع نفسه، ومن يومها فهو لا يقف لها على الدرب ولا يوصلها ولا يعترف بها ! كذلك يبدو التشاؤم واضحا في قصتي « عقب سيجارة » و« بائع الصحف » ففي الاولى تصوير لمظاهر الفقر والحاجة مع كثرة الاولاد ، واضطرار احد الابناء الى تجميع اعقاب السجائر بدل أن يحاول اي عمل نافع ، ودخوله السجن من اجل هذه الهواية غير المشروعة ، ولكن الدنيا ما زالت بخير فيما يبدو ، فالضابط المسئول « صفوان » جار قديم لمحمود ، والد الابن السجين ، يتعرف عليه ويخدمه باخراج ابنه من السجن . أما الصورة الاخيرة في القصة فساخرة مرة ، اذ يدخل الاب والابن البيت على صوت وافد جديد وضعته الام في تلك اللحظة « ونظر الولد الى أبيه وقد امسك بيده علبة ثقاب وراحت يده الثانية تبحث بعصبية في جيوب سرواله وسترته عن شيء . . هنا دس حسين يده في جيبه واخرج عقبا من بين الاعقاب القابعة فيها ، ودفعه الى ابيه ليستقر في لحظة بين شفتي والده اليابستين المرتعشتين . . » !

و« بائع الصحف » صورة رومانسية مؤثرة رغم واقعية احداثها وصورها اليومية المتكررة ، فعبود صبي صغير بريء ، تعلم سر المهنة من والده واخذ يقفز ما بين الحافلة والرصيف مناديا على ما في رزمته من صحف وما في الصحف من اخبار تهم مختلف الفئات ، فصحيفته « للموظفين تبشر بالكادر والعلاوات. . . وللتجار بالتسوية للمشكلة الاقتصادية القائمة بين سوريا ولبنان . . الخ » عدا الطبقة التي يتفنن « عبود » في ابتداع العناوين الخيالية من أجلها : « الرجل الذي ذبح ابنه، المجرم الذي دوخ القوات، الفلاح الذي وجد كنزا مطمورا ، وهكذا » . ولكن هذه الحركة السريعة في القصة سرعان ما تنتهي الى سكون ، والكائن النابض بالحياة يلاقي مصيره القاسي تحت عجلات الحافلة ، ويتناثر رشاش من دمه على الصحف الملقاة بجانب الجثة . ويسخر القدر من الناس وحركتهم واعمالهم ، فبائع الصحف النشيط « عبود » أصبح خبرا صغيرا في صحيفة ينادي عليها بائع آخر « رقيع » تجرأ بالتدليل على صحيفته في اليوم التالي بذكر تفاصيل حادث عبود الذي مات تحت عجلات الحافلة .